

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (142)

الإدراك (103)

الإدراك والحلم والإبداع (4 من 5)

Information Processing

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD311212.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/12/31
السنة السادسة - العدد: 1949



مقدمة

جاء في النشرة رقم مائة في ملف

الإدراك (العدد 1941 من نشرات الإنسان

والتطور اليومية) بتاريخ: 2012-12-23،

"..فلتسمحوا لي أن نؤجل الحديث عن علاقة

الموت بالإدراك الآن، فهو الموضوع الأصعب

والأخطر والأكثر تحدياً، وأكرر مرة أخرى

بفرحة لا يعتاب، أن الذي جرننا إلى هذا الحديث هو أ.د. السامرائي، ولا شأن لأطروحة الإبن

إدريس الوزاني في ذلك"،

وإذا بي أتلقى هذا الأسبوع عن طريق الشبكة النفسية العربية (شعن) من الإبن د.

الوزاني تعقيباً على نشرة قديمة صدرت منذ أكثر من خمس سنوات بتاريخ 7 نوفمبر

2007 (العدد: 68) "مقتطفات بلا موقف.... عن الموت والوجود"، لم أكتب فيها رأياً أصلاً

في الموضوع لأنها كانت مجرد تنبيه لصعوبة الخوض في مسألة الموت دون جهد مثابر

وحذر جداً، وكان المقصود من هذه النشرة أن أنبه أصدقاء الموقع إلى أن المسألة

استغرقت من العلماء والفلاسفة ورجال الفقه واللاهوت أعماراً بأكملها، وقدمت في سبيل

شرح ذلك إشارة عابرة ومقتطفات محدودة من كتاب "الموت والوجود"، وعنوانه الفرعي:

فرق بين "زمن (وقت)
الحلم" (الزمن الذك
يستغرقه الحلم فجلاً، ثم
الزمن الذك يرد فك
حكيه) وبين "الزمن فك
الحلم". ونعندك بالأخير
العلاقات (الزمنية)
والنقلات بين الأحداث

ماهية الزمن فك الحلم
تقبل كل الاحتمالات.
عندنا: الزمن "الدائر"،
و"المتقطع"، و"الثابت"
(المتوقف)، و"العكسك"،
و"المتداخل"، وذلك فك
مقابل الزمن "التسلسل
التتابعك" فك البيضة

الزمن، فك الحلم، يصبح
مكاناً وتركيباً وعلاقات،
يصبح زماناً وليس زمناً
فقط.

يتحدد طول الزمن فك
الحلم بمدك سهولة أو
صعوبة عملية التوصيل أو
التراط بين معلومة
ومعلومة، بين حدث

وحدث، بين تشكيل
وتشكيل

يصبح من السهل أن
تُختزل القرون فك جزء
من الثانية، وأن تمتد
الثانية إلك عقود من
الزمن بحسب سرعة
التوصيل

كما يمكن للمستقبل أن
يبدو قبل الحاضر،
ويكاد لا يكون ثمَّ
ماضٍ أصلاً، وكل ذلك
مؤسس على أن الترابط
بين الأحداث أصبح
مكانياً، مستحضراً (فك
الجهاز العصبك أساساً
وفك المخ بالذات دون
استبعاد سائر الجسد)

يتناسب عمق الحلم
المحكك وصدقته، أح
مدك بُعده عن
التزييف، مع قدر ما
يظهر فيه من قلب
الزمن إلك مكان
وعلاقاته السالفة الذكر
بالصورة

كثيراً ما يحكك العالم
المؤلف (لا المزيف)
أحداث الحلم وكأنه
يكتب سيناريو فيلم
بمعنك أنه بدلاً من أن
يحكك بصيغة الماضي
التك تقول "ثم
ذهبتُ وقالتُ ثم
سمعتُ... الخ، بخده
يتحدث بصيغة المضارع

"دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي والعلمي" تأليف: جيمس ز
كارس، ترجمة بدر الدين الديب، وهو من 610 صفحة من القطع الكبير، وكنت أقصد أن
نتعلم كيف تكون الجدية في تناول مثل هذه المواضيع الخطيرة، كما أردت أن أوصي بطريق
غير مباشر، بالرجوع إلى مثل هذا الجهد وغيره، وضده، طرداً للكسل العقلي، قبل أن تصدر
فتاوانا العلمية وغير العلمية في هذا الشأن، ثم إنى - كما قلت - اقتطفت من مقدمة المؤلف،
ثم من مقدمة المترجم ما رأيت أنه يوصل رسالة الجهد، والجدية، وأهمية الخبرة الذاتية.

(شكراً يا د. إدريس، لا حرمنا الله من رأيك ونقدك)

وقد أرسلت للإبن د. إدريس شخصياً عن طريق "شعن" رداً موجزاً شاكرًا مقدرًا، معترفاً
مرة أخرى عن تناول موضوع علاقة الموت بالإدراك حالياً لنفس السبب، وهو الحاجة إلى
مزيد من الجدية، والتزام الحذر، والمخاطرة في نفس الوقت (وشكراً لمولانا النفري).

والآن عودة إلى موضوعنا الأصلي الذي لا يريد أن يتوقف، أو ربما يتوقف قبل أن
نصل إلى تناول موضوع "الموت والإدراك" الذي ورطنا فيه أ.د. السامرائي جزاه الله عنا
خيراً.

الإدراك والحلم والإبداع (4 من 5)

2-10 الزمن في الحلم:

فرق بين "زمن (وقت) الحلم" (الزمن الذي يستغرقه الحلم فعلاً، ثم الزمن الذي يرد في
حكّيه) وبين "الزمن في الحلم". ونعني بالأخير العلاقات (الزمنية) والنقلات بين الأحداث.
ماهية الزمن في الحلم تقبل كل الاحتمالات. عندنا: الزمن "الدائري"، و"المتقطع"، و"الثابت"
(المتوقف)، و"العكسي"، و"المتداخل"، وذلك في مقابل الزمن "التسلسلي التتابعي" في اليقظة.
ويرجع هذا إلى أن الزمن، في الحلم، يصبح مكاناً وتركيباً وعلاقات، يصبح زماناً وليس
زمنًا فقط.

الشائع الغالب أن الزمن هو علاقة بين حدثين، ولا بد أن يقع الحدثان (فأكثر) في اليقظة

(العادية، دون إبداع) فى تتابع، فيتحدد الزمن طوليا. أما فى الحلم، ومع التنشيط بالبسط الإيقاعى، فإن الأحداث (الكيانات/المعلومات) تتحرك "معا"، ثم تنشئ علاقات مستعرضة ومتداخلة ومتنوعة بسهولة لا يُحترم فيها التتبع التسلسلى، الذى يؤلف الزمن المعروف فى اليقظة ([1]) من هنا نفهم كيف أن أية علاقة، وكل علاقة، هى احتمال قائم.

يتحدد طول الزمن فى الحلم بمدى سهولة أو صعوبة عملية التوصيل أو الترابط بين معلومة ومعلومة، بين حدث وحدث، بين تشكيل وتشكيل، وهكذا تتباعد كل هذه الكيانات وتتقارب وتتبادل وتتداخل، بحيث يصبح من السهل أن تُختزل القرون فى جزء من الثانية، وأن تمتد الثانية إلى عقود من الزمان بحسب سرعة التوصيل، أو غير ذلك، كما يمكن للمستقبل أن يبدو قبل الحاضر، ويكاد لا يكون ثمَّ ماضٍ أصلا، وكل ذلك مؤسس على أن الترابط بين الأحداث أصبح مكانيا، مستعرضا، (فى الجهاز العصبى أساسا وفى المخ بالذات دون استبعاد سائر الجسد) إن ذلك يتيح حركية تبدو عشوائية "كيفما اتفق"، بدلا من الاقتصار على الزمن المسلسل الطولى الترابطى المتتالى، علما بأنها فى عمق تركيبها ليست عشوائية أصلا.

يتناسب عمق الحلم المحكى وصدقه، أى مدى بُعده عن التزييف، مع قدر ما يظهر فيه من قلب الزمان إلى مكان وعلاقاته السالفة الذكر بالصورة. كثيرا ما يحكى الحالم المؤلّف (لا المزيّف) أحداث الحلم وكأنه يكتب سيناريو فيلم بمعنى أنه بدلا من أن يحكى بصيغة الماضى التى تقول "ثم ذهبتُ وقالتُ ثم سمعتُ... إلخ، نجده يتحدث بصيغة المضارع "ثم...."يتغير" المنظر، ثم "أجد" نفسى فى..المكان الفلانى....، و"يظهر" لى فجأة كذا.. إلخ، والفرق واضح بين الحكاية المسلسلة والسيناريو المصورّ.

هذا القلب من البعد الطولى للزمن، إلى البعد العرضى المتداخل المتنوع للعلاقات، هو الذى يظهر بصورة أو بأخرى فى نوع من الرواية الحديثة، وكذلك فى الشعر وفى بعض أنواع الإبداع المستلهمة - دون قصد غالبا - لآلية الأحلام، والتى تجلت مؤخرا بشكل مباشر

فى أحلام فترة النقاهاة (لنجيب محفوظ)([2])

قد لا تكون للحلم وظيفة محددة بالمهنة السبب المسطح، إذ أن الحلم لا يحدث بالضرورة- كما شاع الزعم- لتحقيق رغبة، أو لتفريغ خفاقة

الحلم ظاهرة إيقاعية دورية حتمية، ينبغى أن نحترم حدوثها لمجرد أنها صفة حيوية للكائن البشرى، إذ تعددت مستويات وعيه، مثلها مثل وظيفة اليقظة ووظيفة النوم.. أما ما يحدث فيها ومنها وبها فهذه أبعاد أخرى

إذا تحدثنا عن وظيفة الحلم ينبغى أن نبدأ بوظيفة النشاط الحالم (الحلم الخام/ الحلم بالقوة)، حيث أثبتت تجارب الحرمان من الأحلام، أن الأحلام تؤدّد وظائف صمام الأمن، والتفريغ، وإعادة تنعيم (هارمونية) المعلومات

النشاط الحالم هو بعض أنشطة التعلم: بهنك تعزيز ما تيسر من المادة المكتسبة حتى يمكن أن تُتمثل لكك تصبح تويرا فد التركيب الكلد

من هذا المنطلق نبتين أن وظيفة الحلم كما يعرفه

العامة والمفسرون ينبغي أن يعاد النظر فيها، وذلك من خلال معرفة وظيفة النشاط الحلم نفسه، ومن الأساس، وليس فقط من خلال ما يعلن من ناتجه فك وعى اليقظة فك صورة الحلم "المحك" (المزيف غالباً)، أو حتى الحلم "فك المتناول" (المؤلف غالباً).

إن مجرد مبدأ أن يتذكر شخص ما بعض جوانب أحلامه أو يحكيها هو إعلان عن قدرة هذا الحالم على رؤية "ما ليس كذلك" فك نفسه، أو على الأقل قبوله محاولة أن ينظر فك الجانب الآخر من وجوده

حين يكون الحلم إبداعاً أصيلاً مستمداً من واقع داخله متحرك، فإنه يعمل على تعزيز المعلومات فك خزيق تمثيلها فك الكل النامد دفعا لاستمرار مسار التطور الذاتك

إذا تمت رواية الحلم وحكيه بشكل تتابعك مسلسل على حساب إبداع (إعادة تشكيل) ناتج التنشيط، فإن ذلك يدرج فك "ميكانزمات" الدفاع التكمقل من احتمال

2-11 وظيفة الحلم، وشبهة التشويه:

قد لا تكون للحلم وظيفة محددة بالمعنى السببي المسطح، إذ أن الحلم لا يحدث بالضرورة- كما شاع الزعم- لتحقيق رغبة، أو لتفريغ طاقة. الحلم ظاهرة إيقاعية دورية حتمية، ينبغي أن نحترم حدوثها لمجرد أنها صفة حيوية للكائن البشرى، إذ تعددت مستويات وعيه، مثلها مثل وظيفة اليقظة ووظيفة النوم...، أما ما يحدث فيها ومنها وبها فهذه أبعاد أخرى.

إذا تحدثنا عن وظيفة الحلم ينبغي أن نبدأ بوظيفة النشاط الحالم (الحلم الخام/ الحلم بالقوة)، حيث أثبتت تجارب الحرمان من الأحلام، أن الأحلام تؤدي وظائف صمام الأمن، والتفريغ، وإعادة تنعيم (هارمونية) المعلومات، وكذلك فالنشاط الحالم هو بعض أنشطة التعلم: بمعنى تعزيز ما تيسر من المادة المكتسبة حتى يمكن أن تتمثل لكى تصبح تحويراً فى التركيب الكلى، وهكذا باستمرار. كل ذلك يحدث حتى لو لم يعرف الحالم (أى لو أنكى على نفسه تلقائياً دون أن يدرك) أنه حلم أصلاً. من هذا المنطلق نتبين أن وظيفة الحلم كما يعرفه العامة والمفسرون ينبغي أن يعاد النظر فيها، وذلك من خلال معرفة وظيفة النشاط الحالم نفسه، ومن الأساس، وليس فقط من خلال ما يعلن من ناتجه فى وعى اليقظة فى صورة الحلم "المحك" (المزيف غالباً)، أو حتى الحلم "فى المتناول" (المؤلف غالباً).

العوامل المؤثرة فى مستويات الحلم

تختلف درجات مستويات تأثير وتوظيف الحلم من شخص إلى آخر بشكل متنوع، ومن

ذلك:

1- إن مجرد مبدأ أن يتذكر شخص ما بعض جوانب أحلامه أو يحكيها هو إعلان عن قدرة هذا الحالم على رؤية "ما ليس كذلك" فى نفسه، أو على الأقل قبوله محاولة أن ينظر فى الجانب الآخر من وجوده، أى أن ذلك يشير - بشكل ما - إلى ترجيح قرب ذواته

(حالات ذاته، طبقات وعيه)، بعضها من بعض، (هذا باستثناء الحلم المزيّف تماماً، إذ قد يؤدي دورا عكسيا يدل - أيضا- على الخوف من التهديد بتقارب مستويات الوعي).

2- حين يكون الحلم إبداعا أصيلا مستمدا من واقع داخلي متحرك، فإنه يعمل على تعزيز المعلومات في طريق تمثيلها في الكل النامي دفعا لاستمرار مسار التطور الذاتي. وهذا ما يستدل عليه من التأكيد على طبيعة وظيفة مجرد حدوث ظاهرة الحلم في ذاتها (بغض النظر عن محتواها)، وذلك فيما يسمى الصقل consolidation، وإعادة التتميط re-patterning

3- أما إذا تمت رواية الحلم وحكيه بشكل تتابعي مسلسل على حساب إبداع (إعادة تشكيل) ناتج التنشيط، فإن ذلك يدرج في "ميكانزمات" الدفاع التي تقلل من احتمال فهم وظيفة الحلم في التعلم والتشكيل الإبداعي الممكن، لكنها لا تنفي وظيفة الحلم الأساسية.

2-12 مخاطر التفسير:

ننظر الآن في العلاقة بين وظيفة "حكي الحلم"، و"محاولة تفسيره": إن مجرد الحكي (= إعلان ناتج إبداع الحلم في مرحلة الاستيقاظ التي تتيح ذلك) هو بمثابة التفسير الذي لا يحتاج إلى تفسير، ثم إن التفسير الذي نعرفه أو نسمع عنه قد يقوم أحيانا بدور سلبي، حين يُحل مفهوماً شائعا، أو متحيزا لعقيدة ما، أو نظرية ما، أو موقف مسبق، محل أصالة الحلم، فإذا بالكشف المعرفي الذي يمكن أن يقوم به الحلم، بأى درجة، وخاصة بعد ما أوضحنا من دور الإدراك في المعرفة، يتوارى وسط أكوام وصاية الدفاعات التبريرية والتفسيرات التأويلية، سواء كان ذلك التفسير تقليديا (مثلا: ابن سيرين) أم كان تحليليا (مثلا: فرويد).

عودة إلى علاقة الإدراك بالحلم

ما دمنا قد وصلنا إلى التعرف على النشاط (المعرفي) الإبداعي للحلم - دون إلزام بإعلان ناتج إبداعى بذاته - فإنه من الطبيعي أن نتساءل عن الآلية أو الآليات التي يستعملها

فهم وظيفة الحلم فك
التعلم والتشكيل
الإبداع الممكن،
لكنها لا تنفي وظيفة
الحلم الأساسية

إن التفسير الذي نعرفه
أو نسمع عنه قد يقوم
أحيانا بدور سلبي، حين
يُحل مفهوماً شائعا، أو
متحيزا لعقيدة ما، أو
نظرية ما، أو موقف
مسبق، محل أصالة الحلم

الكشف المعرفي
الذي يمكن أن يقوم به
الحلم، بأى درجة،
يتوارى وسط أكوام
وصاية الدفاعات
التبريرية والتفسيرات
التأويلية، سواء كان
ذلك التفسير تقليديا
(مثلا: ابن سيرين) أم كان
تحليليا (مثلا: فرويد).

من الطبيعي أن نتساءل
عن الآلية أو الآليات التي
يستعملها الحلم لتحقيق
هذه الوظيفة التنظيمية
المعرفية، وخاصة أنها
تجرك فك وعك آخر
بعيدا عن يقظة الحواس
الخمس بالذات

حركة العين السريعة
المصاحبة للحلم (نوم الرنا
REM) تدعم فرض
"العين الداخلية" التي
هك أساس الاعتراف
الجديد بالإدراك
المتجاوز الحواس والتك

الحلم لتحقيق هذه الوظيفة التنظيمية المعرفية، وخاصة أنها تجرى فى وعى آخر بعيدا عن يقظة الحواس الخمس بالذات.

ويمكن أن نوجز الخطوط العريضة التى قد تدرج تحتها هذه العلاقة بين الحلم والإدراك.

أولاً: حركة العين السريعة المصاحبة للحلم (نوم الرنا REM) تدعم فرض "العين الداخلية" التى هى أساس الاعتراف الجديد بالإدراك المتجاوز الحواس التى سوف تكون أساس فى فهمنا للهلاوس الحقيقية غالباً.

ثانياً: أن ثمة عمليات معرفية (بما فى ذلك معالجة المعلومات) تجرى بعيدا عن الوعى الظاهر، وأنها تُعرف بنتائجها أكثر مما تُرصد فى ذاتها.

ثالثاً: أن العمليات المعرفية (بما فى ذلك إعادة التشكيل = الإبداع) تجرى بشكل دورى حسب النظرية التطورية الإيقاعية ([3]) وأن طورى الدورة الإيقاعية لازمان لاكتمال العمليات المعرفية والإبداعية، وفى الحلم لا نعزى النتيجة المعرفية وإعادة التنشيط إلى الحلم وحده (برغم ارتباطها الأكثر به) وإنما نعزى ذلك إلى التناوب بين طورى النوم الحالم مع النوم بدون أحلام (NREM)، مما قد يتبين لاحقاً بدراسات أكثر عمقا وتفصيلا فى محيط المقارنة بين تجارب الحرمان من الحلم وحده (من النوم الحالم) مع الحرمان من النوم الكامل، فيما يتعلق بهذه الخاصية المرئية بشكل خاص.

رابعاً: ثمَّ أمل فى المستقبل فى فحص برامج الإدراك الذى حافظ على أنواع أدنى من الإنسان وعلاقتها بأى نشاط يشبه نشاط الحلم بالإمكانات التقنية الحالية أو الإمكانيات التى يمكن أن تظهر لاحقاً.

خامساً: إن حلول الحلم المزيف محل الحلم الفج (أو حتى المؤلف) أو الحلم الخام يمكن أن يجد ما يقابله فى إحلال التفكير المفاهيمى بالكامل محل التفكير الترابطى التصويرى العلاقاتى فى الحياة المغتربة المعاصرة.

سادساً: إن المبالغة فى تفسير الأحلام بالرموز يعتبر وصاية غير مفيدة غالباً، وقد تكون

سوف تكون أساس فك فهمنا للهلاوس الحقيقية غالباً

ثمة عمليات معرفية (بما فى ذلك معالجة المعلومات) تجرى بعيدا عن الوعى الظاهر، وأنها تُعرف بنتائجها أكثر مما تُرصد فى ذاتها

أن العمليات المعرفية (بما فى ذلك إعادة التشكيل = الإبداع) تجرى بشكل دورى حسب النظرية التطورية الإيقاعية ([3])

لا نعزى النتيجة المعرفية وإعادة التنشيط إلى الحلم وحده (برغم ارتباطها الأكثر به) وإنما نعزى ذلك إلى التناوب بين طورى النوم الحالم مع النوم بدون أحلام (NREM)،

إن حلول الحلم المزيف محل الحلم الفج (أو حتى المؤلف) أو الحلم الخام يمكن أن يجد ما يقابله فى إحلال التفكير المفاهيمى بالكامل محل التفكير الترابطى التصويرى العلاقاتى فى الحياة المغتربة المعاصرة

إن المبالغة فى تفسير

مشوهة، بما يقابل تفسير الإدراك المتجاوز الحواس برموز الحواس الخمسة وفي حدود اللغة المفاهيمية المرموزة، بما يطمس نشاط الإدراك الذي عرفنا كيف أنه معرفة كلية لها أدواتها الخاصة غير الملتزمة بلغة أو رموز بذاتها. إن تفسير الأحلام مهما بلغ من الحذق يعتبر أقرب إلى نشاط التفكير من نوع تفكير "حل المشاكل" Problem Solving .

الأحلام بالرموز يختبر
وصاية غير مفيدة غالباً،
وقد تكون مشوهة، بما
يقابل تفسير الإدراك
المتجاوز الحواس برموز
الحواس الخمسة وفي
حدود اللغة المفاهيمية
المرموزة، بما يطمس
نشاط الإدراك

[1]- يمكن مراجعة مفهوم الزمن استلهاما من الممارسة الإكلينيكية والنقد الأدبي للكاتب:
إشكالية الزمن: في الحياة والمرض النفسي، والعلاج الجمعي: الإنسان والتطور عدد
ابريل 1988 ص (12 - 22).

[2] - عن طبيعة الحلم والإبداع، دراسة نقدية في "أحلام فترة النقاهاة"، دار الشروق، 2005.
[3] - Evolutionary Rhythmic Theory (للكاتب)

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسل خلب الك بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوبا بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

ربيع - صيف 2012

" الفصام "... قراءة من منظور تطوري

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

*** **

اصدار شتاء 2012

عندما يتحرك الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe